

مفهوم الكناية في الدراسات الغربية

□□□□ □□□□

□ □ □ □ □□□□

بدأ الدس الحديث في الكناية من محور دي سوسير المحور الترابطي والمحور التعاقبي، في تصنيفه لعلاقات الدوال على المحورين ، و يستخرج جاكبسون من تقابل محوري دي سوسير قاعدة أن اللغة تعمل وفق مبدأ الاستقطابات المتضادة ثنائياً ، هذا في المستوى الأول و يؤسس على هذا أن كلاً من الاستعارة والكناية هما صيغتان لتلك الاستقطابات ، وذلك من خلال إسقاط مبدأ التكافؤ من محور الاختيار على محور التوزيع ، وهذا التكافؤ المفترض إما أن يكون على أساس التشابه ، فتنجح الاستعارة وإما أن يكون على أساس التماس أو المجاورة ، فتنجح الكناية . إن مفهوم المجاورة الغربي لا يختلف عن مفهوم اللزوم العربي ، و من هنا لا نرى ثمة اختلاف كبير بين المفهوم الألسني الغربي ، ومفهوم تراثنا العربي ، بل من الإنصاف أن نعتزف لتراثنا بفضل سبق ، و بفضل الدقة في التقسيم و التصنيف التي وفرها له المادة الأدبية التي استنبط منه هذا .

08/- الكناية في الدراسات الغربية :

يتعلق الأمر في اللجوء إلى البلاغة عموماً بنوع من الحتمية تؤسسه العلاقة السيكلولوجية الغامضة للمتكلم/ الكاتب بموضوعه ، وهو غموض يجعل من الوضوح الذي يوفره الاهتمام بأعراف الأداء اللغوي نقيضاً للمقاصد القائمة خلف الأداء نفسه كأننا إزاء نوع من الأزمة يفرضها تصور الذات للعالم وليس لموضوع إنشائه فحسب فتستبعد دال الشيء مع إمكانه وتأتي بتشبيهه ، أو تأتي بلازمه / مجاوره . إن مبدأ اللزوم في الكناية ، أو التجاور في الخطاب الغربي عن المجاز المرسل، مبدأ قائم على ما يشبه نوعاً من الفلسفة يذهب إلى أن المنطق الذي به يكون الواقع هو منطق اللزوم / التجاور، عناصر الواقع قادرة على تأويل بعضها بعضاً ، و تمثيل بعضها بعضاً، والامتداد باتجاه بعضها بعضاً وفقاً لقاعدة ثقافية مبررة لهذا كله. هنا يكمن الحكي أو السرد الأداء اللغوي الأمس رحماً بالكناية من علاقتها بالشعر دون أن يمتنع دخولها فيه فهي في الشعر سرد منقطع انقطاعاً يفتح آفاق وظيفتها داخل ماهية سياقها. ونظرة عجلية للشواهد الشعرية في الكناية تؤيد ما نذهب إليه. فالكناية في الشعر ما إن تكتمل صيغتها اللغوية حتى يلتفت منها إلى سواها مما ابتدأ الشاعر فيه كما في قول الشاعر:

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها و إما لبعده شمس و هاشم

والشاهد فيه بعيدة مهوى القرط كناية عن طول العنق فيه شكل من أشكال الالتفات من الوصف الحسي للمرأة جسداً إلى وصفها المعني نسباً ، و هو التفات يزحم القصيدة و ليس الشاهد فحسب بتصوراته. ثمة رابط بين الطول المادي ، والشرف المعنوي في الثقافة العربية ربما تجمعها الدلالة الأصل للشرف . فالكلمة تعبر عن علو المكان ، و من علو المكان كانت المكانة العالية ، و من الأخيرة كانت الصيانة والحفاظ وجميع ما يجتمع معنوياً للشرف في مطلق معناه الاجتماعي، كل هذا يجعل الكناية مؤسسة للتردد بين أشرف قريش ، نوفل ، أو عبد شمس ، أو هاشم . إن تكافؤ اللازم والملزوم الحسينين ينسحب على التكافؤ المعنوي بين بطون قريش الثلاثة شرفاً .

- الكناية : من البلاغة إلى الشعرية :

غالباً ما تقتنص البلاغة الجزئي والعاير من النص الأدبي فتقول به ضمن رؤية أقرب ما تكون في تأويل الاستخدام الشعري بالنظام الغوي حتى تبدو وكأنها واحدة من البراهين الثانية على النظام ولعل مقدمة (عبد القاهر الجرجاني) لدلائله تؤكد هذا الذي نذهب إليه . وإذا كان كل من التشبيه والاستعارة لم يفلتا من ذلك النزوع البلاغي ، فإن الكناية إلى حد ما قد أمكنها ذلك وشواهدا القديمة شاهدة على انتصارها الفذ هذا ، و ما سكوت بلاغيينا على تجاوز معينين في لحظة سياقية واحدة إلا لأن الكناية كانت بحاجة إلى علم أدق بالدلالة ، و معرفة أعمق بالسياق و حضور مفهومي ، و إجرائي لمصطلح النص و فوق هذا وذاك إلى وعي بالحراك اللغوي للمعاني خارج تراكبها الجزئية .

إن توظيف الكناية في الأدب الحديث و تحليلها ينبغي أن ينظر إليها من وجهتين : الأولى بلاغية تقرأ فيها الكناية باعتبار دورها الوظيفي أي في تركيبها اللغوي، و نترك للنص حق استدعائها من موضعها متى شاءت لغته ، أو شاءت قراءته . والثانية وجهة نصية نقرأ فيها الكناية قراءة تتسع عن حدود تحليلها اللغوي فيتم فتح عناصرها ، و نواتجها على النص لتشارك في بلورة بنيتها بهذا القدر أو ذاك حسب جدارتها الداخلية بوجودها النصي . كل هذا التعدد يؤسس لفاعلية السياق في استعادة تماسكه ، أو انسجامه من قبضة الازدواج الدلالي الذي اقترحته الكناية عليه ، فغالب ما كان امتداد السياق ناتجاً من ناتج قلق محمولاته سواء بازدواجها أو بغموضها أو بنقصها الدلالي على الرغم من اكتمالها التركيبي.

10-/- الهيئة السيميائية للكناية

إن العلامة من منظور بيرس ثلاثة أنواع : الرمز، الآيقون، المؤشر أو الشاهد . و نحن في غنى عن النظر إلى النوعين الأولين بينما لا مناص من النوع الثالث بصدد الحديث عن الهوية السيميائية للكناية إننا نعتبر الكناية علامة من نوع المؤشر / الشاهد الذي له عدد من الخصائص تقارب بينه و بين الكناية علاقة المجاورة بينه و بين موضوعه بعداً و قراباً.

هذه هي بيئة العلامة عند بيرس بالنسبة لموضعها فإذا ما تناولنا الكناية كعلامة على ضوء هذه البنية فسنتبين أننا إزاء ثلاث مستويات لكل منها حضور نوعي. إننا مع الشاهد/ الكناية نتحرك داخل عالم نصي تقع فيه هذه العلامة ومن ثم فإن عناصرها البنيوية تخصص بعضاً منها بحساب بنيتها و تخصص بعضاً الآخر لآلياتها التدليلية..:

(أ)- **الموضوع الكنائي** : تحدد السيمياء (البيرسية) الموضوع بأنه ما يقوم الممثل بتمثيله سواء كان هذا الشيء (الموضوع) الممثل واقعياً أو متخيلاً أو قابلاً للتخيل أولاً يمكن تخيله على الإطلاق. إن موضوع العلامة هو المعرفة التي تفترضها العلامة لكي تأتي بمعلومات إضافية تخص هذا الموضوع وفي حالة الكناية فموضوعها لا يخرج عن التجديد السابق .

(ب)- **الممثل الكنائي** : في السيمياء (البيرسية) يتحدد الممثل بثلاث سمات :

«- يحل محل شيء آخر.

- أداة بتمثيل هذا الشيء.

- لا يحيل على موضوعه إلا من خلال مؤول».

و بخصوص الكناية فهذا يتطابق تماماً الممثل (البيرسي) مع الكناية في خطابنا البلاغي ف(كثير الرماد) ممثل و(طويل النجاد) كلك .

(ج)- المؤول الكنائي : يقول (سعيد بن جراد) « المؤول يشكل التوسط الإلزامي الذي يسمح للممثل بالإحالة إلى موضوعه وفق شروط معينة فلا يمكن الحديث عن العلامة إلا من خلال وجود المؤول باعتباره العنصر الذي يحدد للعلامة صحتها ويضعها للتداول كواقعه إبلاغية». إذن وحدة المؤول هو الذي يقيم العلاقة بين التركيب اللغوي (الممثل) والموضوع فتكتمل العلاقة .

11/- مستويات قراءة الكناية

اتساقاً مع التصور (البيرسي) للسيرورة التأويلية غير المتناهية تتعدد المستويات الدلالية والتي حدد لها (بيرس) ثلاثاً مستويات لقراءتها :

- المستوى القبلي حيث الموضوع.
- المستوى التركيبي حيث الممثل.
- المستوى النصي حيث المؤول.

(أ)- المستوى القبلي

إن تحديد نوع العلاقة البلاغية قرار إبداعي يأخذه المبدع على قاعدة وعيه جمالياً بموضوع نصه من جهة ، وإحساسه بالسياق القبلي من جهة أخرى ، وأخيراً بوظيفة نواتج ذلك القرار سياقياً ونصياً من جهة أخرى إن المبدع في واحدة من لحظات النص يشعر شعوراً صادقاً بتهديد أدوات تعبيره السابقة لتصوراته المبهمة عن موضوعه فيلجأ إلى واحدة من تقنيات البلاغة ملتفّاً على ذلك التهديد .

(ب)- المستوى التركيبي

في هذا المستوى نحن أمام الكناية الممثل ولا إمكان لفهم ما يحدث لإنتاجه إلا عبر مفهومي البنية العميقة والبنية السطحية ، حيث الانتقال من الأولى إلى الأخيرة يلزمه مبدآن و شرط أو قانون تحويلي يضبط عملهما، أما المبدآن فهما، الحذف والاستبدال . وأما الشرط فهو: اللزوم إننا كثيراً ما نخطيء في النظر إلى التركيب اللغوي باعتباره مجموعة من الخانات النحوية تشغلها مجموعة من المفردات اللغوية. وهذا التصور يزيح إمكانية وجود سياق لا نحوي للتركيب اللغوي . وهو قصور في النظر إلى دور المفردة اللغوية داخل تركيبها. إن كل تركيب لغوي عبارة عن مستويين يتطابقان فلا يتميز أحدهما من الآخر، أو تفصل بينهما مسافة ما فتجعلهما أمام احتمالين لا غير: إما أن يتوازيا ، وإما أن يتقاطعا والتطابق يكون في حالة الأداء المعياري فحسب أما الحالتان الأخريان فتمثلان إزاحة شعرية للمعيار إنهما إزاحة تفرض ولا تفترض فقط مفهوم السياق كفاعلية ملء المسافة بين المستويين .

(ج)- المستوى النصي

إن اعتبار الكناية دالاً يحدث انقلاباً جذرياً في التعامل معها إذ يؤدي بنا إلى البحث في النص عن العلاقات الممكنة له ، وعن طبيعة هذا العلاقات وأشكالها فضلاً عن وظائفها قبل أن نتحدث عن نواتجها ، و ذلك باعتبارها من جهة حضورها دالاً مركباً ومن جهة دلالتها مثلها مثل الدال المفرد، و يربط بين الترطيب والدلالة

هناك ثالث قائم في فضاء النص ، هو دال اللزوم إذن لدينا ثلاثة محاور للتحليل النصي للكناية الأول المحور التركيبي والثاني المحور الدلالي والثالث المحور الفضائي للتضافر العلاقات بين الكناية كظاهرة بلاغية وبين نصها الأدبي وأشد على هذه الصفة فثمة فارق كبير بين تحليل الكناية في خطاب أدائي و تحليلها في نص أدبي .

12- بين الكناية والصور البيانية الأخرى

المدهش في أمر تراثنا البلاغي أنه التقط علاقات معنية للكناية بالصور البيانية الأخرى من تشبيه و مجاز لغوي و استعارة ، وقد يمكننا أن نصف تلك العلاقات صنفين :الصنف الأول: علاقات حضور حيث تدخل الكناية في جسد الصور البانية الأخرى وهي التي اهتم بها الخطاب التراثي والصنف الآخر علاقات غياب حيث تدخل الكناية في فضاء تأويل الصورة البيانية الأخرى.

(أ) - علاقة الحضور

تحضر الكناية على صورتين من الحضور الأولى تحديد المفهومية بين ما يخشى تداخله كما في حالة اشتباه للمجاز بالكناية نظراً لوجود جامع أعلى بينهما هو عدم إرادة المعنى الأصلي للفظ في الاثنتين يقول الرازي: «اعلم أن اللفظة إذا أطلقت و كان الغرض الأصلي غير معناه فلا يخلو أم أن يكون معناها مقصوداً أيضاً ليكون دالاً على ذلك الغرض الأصلي و إما ألا يكون فالأول الكناية والثاني المجاز» وأما صورة الحضور الأخرى فدخل الكناية في تمييز بعض أقسام الصور البيانية الأخرى كما في حالة تشبيه الكناية ذكره «شهب الدين الحلبي».

(ب) - علاقة الغياب

بين المجاز والكناية تشاكل واختلاف ، فالتشاكل على قاعدة وجود معينين للفظ ، و أما الاختلاف فعلى قاعدة صلاحية المعنيين معاً في الكناية و امتناع إرادة المعنى الأصلي في سواها . إذن نحن أمام مستويين يلتقي في أحدهما المجاز بنوعيه.

خاتمة :

__ إن شعرية البلاغة العربية الذي حاولته الدراسة في (الكناية) لا يعود إلى الكناية في ذاتها فما الكناية في ذاتها، إلا صورة بيانية من صور أخرى تقع جميعاً تحت سلطة التعريف بعلم البيان.

__ الشعرية إمكان قائم في فضاء خطاب بلاغتنا تحققة الدراسة المقارنة التي تجيد صناعة حوار معرفي بين لحظة تراثنا العربي ولحظة الحداثة الغربية لتفعيل منجز الأولى وتطويع منجز الثانية لإتقان العربية. وبلاغتنا تتمتع بما يؤهلها لهذا على العكس تماماً من التراث البلاغي للغرب.

__ إن الشعرية الغربية باختلاف رواها قد تقاطعت مع التراث البلاغي .
إذا كان هذا هو حال البلاغة الغربية فليس من المنطقي أن نحسب الأمر كذلك في كل بلاغة وتحديدًا: بلاغتنا
فثمة

__ البلاغة الغربية قد ارتبطت بالخطابة وإنتاج الخطاب الاستشاري والاحتفالي والفضائي ثم الشعري فيما بعد .

__ إن البلاغة العربية قد ارتبطت بالشعر والقرآن والقول البليغ عموماً ومن ثمة كانت محاولة لتفسير الخطاب .

__ البلاغة الغربية تتكون من خمسة أقسام هي: الابتكار والترتيب والصياغة والحفظ والإلقاء.

قائمة المصادر:

- أبو زيد الأنصاري . النوادر. تحقيق مُحمد عبد القادر احمد ، دار الشروق للنشر ، القاهرة ، ط 1 / 1980.
- فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، القاهرة.
- فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسانيات العامة ، تحقيق عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ط ، 1987 .

قائمة المراجع :

- أحمد حساني . مباحث في اللسانيات . ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .
- العطار بوشتي . قضايا المنهج و الأدب، مجموعة من المؤلفين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط 1 / 1987،
- شهاب الدين محمود الحلبي، حسن التوصل إلى صناعة الترسل، تحقيق أكرم عثمان، بغداد، (د ط)، 1980
- مصطفى سويف . الاسس النفسية للإبداع الفني ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط 1 / 1995
- صمود حمادي . التفكير البلاغي : أسسه و تطوره إلى القرن السادس ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، 1981.
- علوش سعيد . المصطلحات الأدبية المعاصرة ، مطبوعات المكتبة الجامعية ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 / 1984
- يوسف الصديق . المفاهيم و الألفاظ ، دار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، . د ط ، د ت .

المواقع الإلكترونية:

- سعيد بن جراد. السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها عن الموقع الألكتروني: [http// Saidbengrad.tree.fr//ouv](http://Saidbengrad.tree.fr//ouv)